أخبار العرب في التوراة في تاريخ قبل الإسلام

م.د. عدنان محمد مجلي
كلية التربية للبنات / جامعة ذي قار

الملخص:

تُعدُّ التوراة أقدم الكتب اليهودية التي كثيراً ما اعتمد عليها المؤرخون العرب، ولاسيّما عند تفسيرهم للآيات القرآنية الخاصة بخلق الكون وقصص الأنبياء، والتوراة مجموعة أسفار كتبها عدد من الأنبياء، كُتب أكثرها في فلسطين، أما حزقيال والمزامير، فقد كتب في وادي الرافدين أيام العهد البابليّ.

أقدم أسفار التوراة سفر (عاموس) الذي كُتب سنة ٧٥٠ ق.م والتوراة أقدم المصادر غير العربية لتاريخ العرب قبل الإسلام، ويُعدُّ سفر دانيال والإصحاحان الرابع والخامس من سفر المزامير قبل ولادة السيد المسيح (عليه السلام)، ويكمل التلمود أحكام التوراة.

التوراة أو التورة كلمة عبرية تعني الهداية والإرشاد، ويقصد بها الأسفار الخمسة (التكوين . الخروج . اللاويين . العدد . التثنية) التي تنسب إلى موسى (عليه السلام) وهي جزء من العهد القديم. والتوراة أو العهد القديم تمييزاً له من العهد الجديد كتاب المسيحيين المقدس. وهو كتاب اليهود الذي يضم إلى جانبي تاريخهم، وعقائدهم، وشرائعهم، ويقسمه أحبار اليهود على ثلاثة أقسام، هي: (الناموس، الأنبياء، الكتابات).

موضوع بحثنا هو (أخبار العرب في التوراة) تناولتُ في الموضوع ظهور العرب، وتسمية العرب، وألفاظ التسمية للكلمة العربية هي عرب، فضلاً عن معنى عرب في العبرية واللغات القديمة الأُخرى، وتناولتُ أيضاً أنساب العرب، وعلاقة العرب بالأقوام الأُخرى والتأثيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

فضلاً عن ذلك تناولتُ أيضاً هجرة النبي إبراهيم الخليل (عليه السلام) من أور إلى حران، ومن ثم إلى أرض كنعان، وبعد ذلك إلى مصر، ومن ثم خرج من مصر.

واعتمدتُ في كتابة البحث على مصادر مختلفة، منها التوراة، والقرآن الكريم، فضلاً عن كتب المؤرخين وهي كتب قيّمة منها كتاب: دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام لمحمد بيومي مهران ، ومحاضرات في تاريخ العرب للدكتور صالح أحمد العلي، وكتاب: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الأول لعلي جواد ، وكتاب: بنو إسرائيل ، الحضارة التوراة، والتلمود، الجزء الثالث لمحمد بيومي مهران.

Abstract

We conclude of what has mentioned that torah is the most ancient Jewish books and on which many historians have depended on, especially in their interpretation of Quran Ayahs concerning with the creation of Universe and prophets stories- the torah is a set of books written by a number of prophets.

Torah is Hebrew word which means the gift and instruction and it means Al-Asfar the fifth , Takwein , al-Khuruj m AlLawein , Al Adad and al-Tathniyah and it is attributed to the prophet Moser (peace upon him) ; it is part of the old testament . The Torah is considered part of the old testament and is regarded an important source by transferring tidings pre-Islam Arabs ,along with movements from one area to another , their social , economic and political relations and their effect on other tribes (the far and the close one) ; besides , their commercial activity reaching to far –fetching areas. Moreover , the effect of military campaigns and the role of tourists and businessmen in the Arab areas , together with their effect with the Arab areas and quoting some different Arabic sciences . Of these sciences are Mathematics, astronomy , geography and some important subjects concerning with the Law and manuscripts carrying subjects of law , including dynasty of Hammurabi

أخبار العرب في التوراة:

تاريخ ظهور العرب:

ظهرت أول إشارة للعرب في نص آشوري على أيام الملك (شلمنصر الثالث)، إذ إنَّ هناك مملكة غرب بلاد آشور يحكمها ملك اسمه (جنديبوا) أي جندب، وفي غارة على مملكته قتل ألف من العرب. ولما كان الآشوريون لا يشكلوا كلماتهم، فقد قرأت في النصوص المختلفة arabo وaribo و aribi و urubi ، وما يزال الكثير من سكان العراق يطلقون عربي بضم العين على ابن العرب.

وفي سفر أشيعا يذكر كلمة عرب للدلالة على العزلة والوحشة والسكن بالبوادي، ووادي عربة هو الوادي الممتد من البحر الميت (بحر الجليل) إلى خليج العقبة، إذ يفضي إلى الأراضي الجرداء المحروق وجهها، حيث يسكنها (العرب)(١).

ومن علماء التوراة من يرى أن (أيوب)، صاحب السفر المسمى باسمه أي سفر أيوب، وهو من أسفار التوراة، هو رجل عربي، إذ كانت كل الدلائل الواردة تدلُّ على أنه من العرب، فقد كان من أرض عوص "uz" ، وعوص وإن اختلف العلماء في مكانها، فإنها في بلاد العرب في (نجد)" أو في بلاد الشام (في حولان) أو غب (اللحاة) على حدود (أدوم Idumaeaul) في العربية الغربية في شمال غربي (المدينة) ويدعي بعضهم أنه يسكن في شرق فلسطين أو في جنوب شرقيها، أي في جزيرة العرب، أو في بادية الشام(٢).

وسبب هذا الخلاف، هو أن التوراة لم تحدد مكان الأرض(٣) (عوص)، في حين نرى أن سفر أيوب يتحدث عن هجوم " أهل سبأ " على ملك (أيوب) واستياق يقر له كانت تحرث الأرض، وأن ترعى، مما يشعر أن أرض (أيوب) التي هي (عوص) كانت على مقربة من السبئيين.

إنَّ أرض عوص كانت على مقربة من الكلدانيين، أي في البادية القريبة من الفرات، وإن أيوب كان رجلاً غنياً يملك إبلاً وبقراً وأثناً، وأملاكاً، وربما كان سيد قبيلة، وله رعاة ينتقلون بماشيتهم في بادية الشام ما بين العراق فلسطين وأعالي الحجاز، فأغار أهل سبأ على بقر له كانت تحرث أرضه، وعلى أثنا كانت ترعى في أرضه، وأخذوها من رعاته وحراسه(٤) .

ويستدلُّ من يقول بعروبة (أيوب) بالأثر العربي البارز على (سفر أيوب) ومن القدماء من قال بوجود أثر للعروبة في سفره " العالِم اليهودي بن عزرا "(٥) " Idn Ezra " "Ben ezra" من رجال القرن الثاني عشر اتبع في ذلك جماعة من الباحثين الذين وجدوا في الكلمات والتعابير والأسماء الواردة في ذلك السفر ما يشير إلى وجود أثر عربي عليه.

وتذكر التوراة عن أيام (داوود) وملكه، أشارت إلى رجل كان من شجعانه وأبطاله الذين تباهى بهم وافتخر(٦)، دعته (أبيل) العربي " Abiel " وكان من أهل بيت عرابة (بيت عربة) " Beth – Arabah " في تيه (يهودا)، ويدلُّ لقبه هذا والموضوع المذكور أنه كان من العرب، وأشار إلى رجل آخر ذكرت أنه كان على جمال (داود) دعته (ن) أوبيل الإسماعيلي " Obil" ، فهو من العرب الإسماعيليين، ولا يستبعد أن يكون هذا الرجل من وجوه الأعراب، ولذلك أوكل إليه امرايله، وهي حرفة من صميم عمل أبناء البادية(٧).

وقد أشارت في سفر يوئيل إلى السبئيين، فورد فيه: "ها أنا أنهضتهم من الموضع الذي يعتموهم إليه، وأرد عملكم على رؤوسكم، وأبيه بنيكم وبناتكم يبديني يهوذا ليسوعهم السبئيين لأمة بعيدة؛ لأنَّ الرب قد تكلم ".

وتدلُّ جملة للسبئيين، لأمة بعيدة على أن السبئيين المذكورين كانوا يسكنون في منال بعيدة عن العبرانيين.

ويظهر أنما قصدت السبئيين أهل اليمن، فهم بعيدون عن فلسطين، وكان تجار سبأ يأتون أسواق اليهود لشراء ما فيها من بضاعة بشرية لاستعمالهم في سبأ(٨).

معنى كلمة عرب في العبرية واللغات القديمة الأُخرى:

عرف المستشرقون وعلماء التوراة والمختصون تاريخ الكلمة ومعناها في اللغات السامية، وبحثوا عنها في الكلمات الجاهلية، وفي كتابات الآشوريين والبابليين واليونان والرومان والعبرانيين وغيرهم، فوجدوا أن أقدم نص وردت فيه لفظة (عرب) هو نص آشوري من أيام الملك " شلمنصر الثالث " ملك آشور(٩).

تبين أن لفظة (عرب) لم تكن تعني عند الآشوريين ما تعنيه عند الساميين من معنى، بل كانوا يقصدون بها بداوة وإمارة مشيخة كانا يحكمان في البادية المتاخمة للحدود الآشورية، كان حكمها يتوسع ويتقلص في البادية تبعاً للظروف السياسية ولقوة شخصية الأمير، وكان يحكمها أمير يلقب نفسه ملك يُقال له (جنديينوا) أي (جندب) وكانت صلاته سيئة بالآشوريين. ولما كانت الكتابة الآشورية لا تحرك المقاطع، صعب على العلماء ضبط الكلمة فاختلفوا في كيفية النطق بها "Arabi ", " Urbi ", " Arub ", Aribu ", " Aribi ". (١٠)

إنَّ صيغة " Urabi " كانت من الصيغ القليلة الاستعمال، ويغلب على الظن أنها استعملت في زمن متأخر، وأنها كانت بمعنى " أعراب " على نحو ما يقصد من كلمتي (عربي) أو (أعربي) في لهجة أهل العراق.

ويرى بعض علماء التوراة أنَّ كلمة (عرب)(١١) شاعت وانتشرت عند العبرانيين بعد ضعف (الإسماعيليين) وتدهورهم، وتغلب الأعراب عليهم حتى صارت اللفظة مرادفة ضدهم لكلمة

إسماعيليين، ثم تغربت عليهم فصارت تشملهم مع أن الإسماعيليين(١٢) كانوا أعراباً، أي قبائل بدوية تنتقل من مكان إلى آخر، طلباً للمرعى والماء. وكانت تسكن في المناطق التي سكنها الأعراب أي أهل البادية، ويرى العلماء أنَّ لفظة (عرب) لفظة متأخرة، اقتبسها العبرانيون من الآشوريين والبابليين، بدليل ورودها في النصوص الآشورية والبابلية، وهي نصوص يعود عهدها إلى ما قبل التوراة(١٣) .

وأما في التلمود؛ فقد قصد بكلمة (عرب) و(عربيم) و (عريئيم) المعنى نفسه الذي ورد في أسفار التوراة، كما أصبحت كلمة لفظة (عربي) مرادفة في بعض الأحيان لكلمة (إسماعيلي) نسبةً إلى سيدنا إسماعيل، جد العرب، والأخ الأكبر لإسحاق، والد يعقوب أو إسرائيل، جد اليهود(١٤) .

وفي أواخر القرن السادس ق.م بدأ اليونان يتحدثون عن العرب في كتاباتهم، وكان (اسكليوس) أفليوس (٥٢٥-٤٥٦ ق.م)، أول من ذكر العرب من اليونان، وذلك إبان الحديث عن الملك الفارسيّ " اكزركسيس الأول " (٤٨٦-٤٦٥ ق.م) الذي هاج اليهود في بلادهم يجيش فيه (ضابط عربي من الرؤساء مشهور)(١٥)، ثم جاء هيرودوت (٤٨٤-٤٣٠ ق.م) فتعرض في كتابه الثاني لذكر العرب، بطريقة تدلُّ على أنه كان على شيء من العلم بهم، كما أطلق على بلاد العرب لفظ " Arabie " ويعني بها البادية، وشبه جزيرة العرب، والأرضيين الواقعة إلى الشرق من نهر النيل، ومن ثم قصد أدخل (هيرودوت سيناء وكل الأقسام الشرقية من مصر(١٦).

أما " سترابو " (٦٦ق.م- ٢٤م) فقد أكد ما ذهب إليه (هيرودوت) وأضاف إلى ذلك أن عدد العرب في عهدهم قد تضاعف على الضفة الغربية من البحر الأحمر، حتى شغلوا كل المنطقة بينه وبين نهر النيل من أعلى الصعيد، وكان لهم جِمال ينقلون عليها التجارة، والناس بين البحر الأحمر والنيل، بل إنَّ (سترابو) قد وصف مدينة (فقط) جنوب قنا، بأنها مدينة واقعة تحت حكم العرب، بأن نصف سكانها من أولئك العرب.

كانت بلاد العرب تقذف بالموجة تلو الأُخرى إلى وادي النيل، عبر البحر الأحمر، وعن طريق سيناء، التي كانت منذ القِدم قنطرة ثابتة مفتوحة للهجرات التي كان من أهمها(١٧) :

أولاً: قبائل كهلانية من عرب الجنوب، استقرت في الجزء الشمالي الشرقي من مصر في مطلع المسيحية(١٨) .

ثانياً: هجرة قبائل من (طي) فرع كهلاني آخر من المجموعة الجنوبية كان من أهمها قبيلتا لخم وجذام اللتان استقرتا في محافظة الشرقية.

ثالثاً: قبيلة (بلي) استقرت بين قنا والقصيرة، وكان عليها الاعتماد في نقل التجارة الهندية.

رابعاً: هجرة بطون من (خزاعة) وهم فرع من الأزد خرجوا في الجاهلية إلى مصر والشام، بسبب قحط أصاب بلادهم، هذا فضلاً عن الجماعات التي استقرت في شرق الدلتا قبل الإسلام.؟

أنساب العرب:

اتفق الرواة وأهل الأخبار على تقسيم العرب من حيث القِدم على طبقات عرب عاربة، وعرب مستعربة، أو عربة عاربة، وعرب متعربة، وعربة مستعربة، أو عرب مستعربة وتابعة ومستعجمة(١٩) .

فهناك من ينسبهم إلى طبقتين: بائدة وباقية، فأما البائدة، فهم الذين كانوا عرباً صرحاء خلصاء ذوي نسب عربي خالص، ويتكونون من قبائل عاد وثمود وطسم وجدبيس وأميم وعبيل وجرهم والعماليق وحضورا ومدين، وغيرهم.

وأما العرب الباقية، ويسمون المتعربة والمستعربة؛ فهم الذين ليسوا عرباً، ويتكونون من بني يعرب بن قحطان وبني معد بن عدنان(٢٠).

وكان يعرب بن قحطان أول من اعتدل لسانه عن السريانية إلى العربية، وأول من تكلّم العربية.

وهناك تقسيم ثالث يعتمد في الدرجة الأولى على النسب، فهم قحطانية في اليمن، وعدنانية في الحجاز، على أن (ابن خلدون) (ت٨٠٨هـ) ينحو نحواً آخراً ويقسم به العرب طبقاً للتسلسل التاريخي على طبقات أربعة، فهم عرب عاربة قد بادت، ثم مستعربة، وهم القحطانيون، ثم العرب التابعة لهم من عدنان والأوس والخزرج، ثم الغساسنة والمناذرة، وأخيراً العرب المستعجمة، وهم الذين دخلوا في نفوذ الدولة الإسلامية(٢١).

إنَّ هذه التقسيمات التي رأى الإخباريون تقسيم العرب إليها هي تقسيمات لا ترجع إلى أيام العرب أنفسهم، وإنما إلى العصور الإسلامية، وليس هناك نص يذكر هذه التقسيمات ترجع إلى تاريخ ما قبل الإسلام، وإنها أيضاً عربية صرفة؛ وذلك لأنَّ المصادر اليهودية، وكل المصادر اليونانية واللاتينية والسريانية(٢٢).

وهناك من يرى أن هذه التقسيمات غير مقبولة لأسباب متعدّدة: ١- منها أن القرآن الكريم لم يفرّق بين العرب القحطانية والعدنانية، وإنما رفع العرب جميعاً إلى أب واحد، هو إبراهيم الخليل(عليه السلام)، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [سورة الحج: ٧٨]، ٢- ما روي عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أنه قال: " وكل العرب ولد إسماعيل بن إبراهيم، (عليهما السلام)، ٣-: إنَّ هناك من يعدُّ (قحطان) نفسه من ولد إسماعيل (عليه السلام)(٢٣).

اعتماداً على أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مرَّ بناس من أسلم خزاعة وهم من القحطانيين، وكانوا يتناضلون، فقالوا إنْ رموا بني إسماعيل فإنَّ أباكم كان رامياً، وهناك رأي (ابن خلدون) يذهب إلى أن جميع العرب هم ولد إسماعيل (عليه السلام)؛ لأنَّ عدنان وقحطان يستوعبان العرب العدنانية والقحطانية، ٤- إن ابن عباس روى أن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) انتسب، فلما بلغ عدنان وقف، فقال: (كذب النسابون)، كما روى ابن إسحاق عن يزيد بن رومان(٢٤) . أن النبي . (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: استقامت نسبة الناس إلى عدنان.

ويمكن القول: إنَّ عدنان هو القوم الأول للقبائل العربية والتي سمّاهم الكتاب العرب بالقبائل البائدة ، ٥- إنَّ الإخباريين عندما حاولوا كتابة أنساب إنما اعتمدوا إلى حد كبير على سلسلة الأنساب في التوراة، ورفعوا من نسل قحطان، فهم العرب العاربة ونزلوا بنسب بني إسماعيل، فهم العرب المستعربة، أحدث نسباً من غيرهم من القبائل البائدة والعاربة في نظر كتّاب الجنوب، فهم أقل شأناً من قبائل جنوب شبه الجزيرة العربية، وكان الكتّاب المسلمون مرجوين لنظرية التوراة في الأنساب، وتجاهلوا أن التوراة إنما كتبت ذلك لترفع من شأن بني إسحاق على بني إسماعيل وتحصل دون غيرهم الأُمة المختارة، وسلسلة النسب المصطفاة، على بني إسماعيل بالذات، وجهلوا أن الخليل (صلوات الله وسلامه عليه) إنما كان عربياً خالصاً، والأمر كذلك إلى ابن ذريته من بني إسماعيل(٢٥).

٦- إنَّ الشعر الجاهلي لم يرد فيه ذكر لتقسيم العرب على قحطانية وعدنانية، وإنما وردت أبيات بتفاخر أصحابها بعدنان أو قحطان، كما أن هذا التفاخر وحتى لهجاء لا يصحُّ أن يكون أساساً لوضع نظرية في اختلاف أجناس القبائل العربية(٢٦).

٧- إنَّ ما يراه الإخباريون من أن العداء كان مستحكماً بين العدنانيين والقحطانيين من قديم حتى روى كل فريق منهم إنما اتخذ لنفسه شعاراً في الحرب مخالف الآخر، فاتخذ المضريون العمائم والرايات الحُمر، واتخذ أهل اليمن العمائم الصفُر، وإن أصل هذا العداء كان بين الحضارة والبداوة من نزاع طبيعي، وكان من الأعداء الشديديين أهل المدينة من أوس وخزرج، وهم ما ذكر

النسابون قحطانيون، وأهل مكة وهم عدنانيون وقد استمر هذا التنافس بينهم بعد الإسلام، وكان بين القومين حزازات ومخاطرات، وكل يدّعي أنه أشرف نسباً وأعزُّ نفراً(٢٧).

ولعلَّ من الأهمية، أنَّ الحروب التي دارت رحاها بين العدنانيين والقحطانيين، أو بين فريق وفريق من هذه القبيلة لا يكون فيه انتساب كل العرب إلى عدنان أو قحطان، وإنما نسمع فخراً بأسماء القبائل أو الأحلاف التي انضمت إلى هذا أو ذاك، نسمع أسماء معداً ونزاراً ومضراً، وقد كانت القبائل تتحالف فيما بينها، وتتحارب بعضها مع بعض بأحلاف قد تكون مزيجاً بين عدنانيين وقحطانيين(٢٨)، وإذا كان العرب قحطانيين وعدنانيين بالأصل، فكيف تحالفت (جديلة) وهي من طي مع بني شيبان وهم من بني عدنان، لمحاربة (عبس) العدنانية، وهناك تحالف بين قبائل يمنية مع قبائل عدنانية، لمحاربة قبائل يمنية، أو لعقد محالفات دفاعية هجومية معها.

علاقة العرب مع الأقوام الأُخرى:

تحدثت التوراة عن العرب في كثير من أسفارها، ولاسيّما علاقتهم بالإسرائيليين، وأقدم إشارة وردت في التوراة عن العرب ما بين (٧٥٠) والقرن الثاني قبل المسيح، وذكر اسم العرب في مواضع من أسفار التوراة تشرح علاقة العبرانيين مع العرب، وقد وردت في التلمود (Talmud) إشارات إلى العرب(٢٩). وهناك نوعان من التلمود الفلسطينيين الأور الشليمي (Yeruschalmi) والتلمود البابلي نسبة إلى بابل العراق.

أما أخبار العرب في المرحلة الفاصلة بين التوراة وكتاب التلمود؛ فيمكن الاعتماد في تدوين تاريخها بالأخبار التي ذكرها بعض المؤرخين، منهم المؤرخ اليهودي (يوسف فلافيوس)(٣٠) (Yosephus) الذي عاش سنة (٣٧-١٠٠ بعد الميلاد) وله كتاب باللغة اليونانية في تاريخ عاديات اليهود (Joudaikc Archaiologin) تهتم التوراة(٣١) بالقبائل والأماكن العربية ذات العلاقات الاقتصادية مع اليهود وذات العلاقة السياسية معهم في جانب آخر، وذات العلاقة السياسية في أحوال أُخرى، وعندما نتحدث عن القبائل في شبه الجزيرة العربية فإنما نتحدث عنها على أساس أنها قبائل كانت لها علاقة بالعبرانيين، ثم قبائل متبدية في المكان الأول.

وعندما يتعلق الأمر بقصة سليمان وملكه سبأ، فالأمر مختلف، وتصبح لهذه القبائل شأن آخر (٣٢).

كتابات الرحالة اليونان والرومان:

تتناول هذه الكتابات على معلومات تاريخية وجغرافية عن بلاد العرب قبل الإسلام، وعن قبائل عربية أُخرى(٣٣).

ويبدو أن أصحاب هذه الكتابات قد استقوا معلوماتهم من الجنود اليونانيين والرومانيين الذين اشتركوا في الحملات التي وجهتها بلادهم إلى بلاد العرب، ومن السياح الذين اختلطوا بقبائل عربية، ولاسيّما في بلاد الأنباط، ومن التجار والبحارة الذين كانوا يتوغلون في تلك البلاد(٣٤)، وتُعدُّ الإسكندرية من أهم المراكز التي كانت تُعنى عناية خاصة بجميع المعلومات عن بلاد العرب وعن عادات سكانها، وما تنتج فيها لتقديمها إلى من يرغب من تجار البحر المتوسط، وقد استقى كثير من كتّاب الإغريق والرومان معارفهم عن بلاد العرب من هذه المصادر التجارية العالمية . هناك أيضاً إلى وجود إشارات إلى علاقة بين سكان شبه الجزيرة العربية، وبين سكان البحر المتوسط الشماليين(٣٥) .

ولعلَّ أقدم ما تحدث عن العرب من اليونان هو (سكليوس) (٥٢٥-٤٥٦ ق.م) ثم جاء من بعده المؤرخ اليوناني المشهور (هيرودوت) حوالي (٤٨٤-٤٣٠ق.م) الذي ندين له بأول عرض رحيب عن مصر ظلَّ سليماً حتى اليوم، وقد تعرض (هيرودوت) لذكر العرب عند الحديث عن الحروب التي قامت بين فارس ومصر على أيام الملك الفارسي(قمبيز)(٥٣٠-٥٢٢ق.م)، وعلى الرغم ما لهيرودوت من سمعة طيبة في عالم التاريخ، فقد دعاه (سيشرون) (بأبي التاريخ)(٣٦).

وهناك كتابات تعود إلى (ثيوفراست) (حوالي ٣٧١ض-٢٨٧ ق.م) وقد تطرق في كتاباته في أثناء حديثه عن النباتات إلى ذكر بلاد العرب، ولاسيّما الجنوبية منها والتي كانت تصدر التمر واللبان والبخور (٣٧).

أما (سترابو) (٦٦-٢٤ ق.م)؛ فهو من مواطني(بونتس) ويتحدث اليونانية، وقد عاش في الإسكندرية ليضع سنوات، وقد صحب صديقه الوالي الروماني (اليوسها لليوس) في حملته على بلاد العرب عام ٢٤ ق.م(٣٨).

أما (كلوديوس) الذي أخرج كتابه في الجغرافية حوالي عام ١٥٠م، والمعروف باسم (جغرافية بطليموس)، وقد جمع فيه بتولمايوس (١٣٨-١٦٥م) معلومات كثيرة عن بلاد العرب؛ فقسّم الأقاليم حسب درجات الطول والعرض، كما زيّنه بخرائط تصور وجهة نظر العلم في عصره، ويشير العلماء إلى أن معلوماته عن حضرموت، أنه تاجر ومبعوث روماني أقام مدة في (شبوه)(٣٩)؛ وذلك لأنّ وصف (بتولمايوس) للأدوية والأماكن يشير إلى معرفة بها، والأمر مختلف بالنسبة إلى (سبأ) التي معلوماته عنها تتفق ومستوى معلوماته عن حضرموت(٤٠).

الكتابات المسيحية:

ترجع أهمية هذه الكتابات إلى أنها تؤرخ لانتشار المسيحية في بلاد العرب نفسها، فضلاً عن علاقة العرب بالفرس واليونان، وأنها ترتبط الأحداث بالمجامع الكنسية وبتاريخ القديسيين، ومن ثم فقد حصلنا على تواريخ ثابتة، وإنَّ هذه الكتابات دينية أكثر مما هي تاريخية، فقد غلبت عليها الصبغة النصرانية(٤١).

وللمواد النصرانية أهمية كبيرة في تدوين تاريخ انتشار النصرانية في بلاد العرب، وتاريخ القبائل العربية وعلاقات العرب باليونان والفرس، قد كتبت أغلبها باليونانية والسريانية، ولها قيمة تاريخية مهمة؛ لأنها عند عرض الحوادث ترتبط بتاريخ ثابت معين.

وهناك طائفة من المؤرخين النصارى من الروم والسريان، عاشوا في الدولة الأموية والعباسية، القوافي، التاريخ العام في تواريخ النصارى إلى أيامهم فتحدثوا عن عرب الجاهلية قبل الإسلام ومؤلفات هؤلاء تفيد من ناحية أنها ترد فيها معلومات لا ترد في المؤلفات الإسلامية. وهناك عدد كبير من مؤرخي العصر البيزنطي الذين كتبوا عن العرب.

والجدير بالذكر أن نلحظ أن هؤلاء الكتّاب الكلاسيكيين إنما كانوا يحكمون على ما يرونه ويسمعونه من وجهة نظرهم، وحسب عقليتهم، وإدراكهم، وتأثيرهم بعادات بلادهم وديانتها، فضلاً عن عدم معرفة أغلبهم بلغة البلاد التي كانوا يكتبون عنها (٤٢).

هجرة النبي إبراهيم (عليه السلام):

تذهب التوراة إلى أن الموطن الأصلي لهجرة إبراهيم هي أور الكلدانيين ومنها بدأت، ولكن التوراة تذهب إلى أنه هاجر مع أبيه تارح الذي مرَّ بحران معتبرها محطة لاستراحتهم يمكثون بها، ويظهر أن أبو إبراهيم وأمه وافتهما المنيّة فيها(٤٣) .

وأخ تارح إبرام ابنه لوط بن هاران ابن ابنه وساري كنيته امرأة إبرام ابنه فخرج بهم من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان، فجاءوا إلى حران وأقاموا هناك، وكان عمر تارح مائتين وخمس سنين، ومات تارح بحران، إنَّ كلام التوراة إنَّ هجرة(٤٤) تارح وابنه إبراهيم إلى أرض كنعان أي فلسطين، ومن أسباب الهجرة أن أور كانت في زمن إبراهيم قد فقدت شهرتها وطغت عليها بابل وقلَّ نشاطها التجاري وسفنها وهو ما جعل أهلها يهاجرون منها متخذين توجههم شمالاً، ومن أسباب الهجرة هو اضطراب سياسي في جنوب العراق أصابه من خلال مدينة أور للمجاعة، وأدى إلى ضعف التجارة، ومن بين الأسباب هو الغزو العيلامي من جهة الشرق والأموري من الغرب بداية الألف الثاني ق.م(٤٥).

مما أدى إلى سقوط أور عام ٢٠٠٦ ق.م نتيجة الصراع بين الأقوام الوافدة وبين الأقوام السومرية والأكدية هو ما دفع بإبراهيم للهجرة إلى حران وهذا لمخالفته في العقيدة، وهذا ما بينته الآيات البيّنات في القرآن الكريم ومحاولة نشر دعوته لعبادة ربه بعد أن أنجاه الله من نار نمرود، ومن ثم دعوته قومه بعد أن ألقى الحجّة عليهم بالذرية بعد اعتزاله قومه، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴾(٤٦)، ويظهر أن ذهاب تارح والنبي إبراهيم إلى حران كونها كانت مزدهرة في القرنين ١٨، ١٩ ق.م، وأنه لم ينوِ الاستقرار بها، والقلق بسبب سيطرة العيلاميين على بلاد سومر، هذا فضلاً عن أن الأموريين سيطروا على الغرب، فاختار إبراهيم أرض كنعان، وإن اختياره كنعان لأسباب جغرافية؛ بسبب انتشار التلال في

وسطها وجنوبها، وهي منطقة يشوبها السلام(٤٧)، وتبعد عن الصراعات وموقعها مفترق الطرق وجعلها مركزاً لنشر دعوته، هذا إلى تحقيق بعض المكاسب الاقتصادية، كونه يملك الكثير من الأبقار، وكمية من الذهب(٤٨).

ويذهب المؤرخ اليهودي يوسفوس إلى أنَّ إبراهيم اهتدى بالأسرة الثانية عشر (١٩٩١-١٧٧٦ ق.م) لنشر أفكار العدالة له والتسامح والمساواة؛ بسبب ما حلَّ في هذه البلاد من انعدام الأمن والجوع والقحط.

فضلاً عن ذلك، إنَّ إبراهيم قد نقل العلوم في الفلك والرياضيات للمصريين الذين بدورهم نقلوها إلى الإغريق وأنَّ القرآن الكريم يؤكد درايته بهذه العلوم والمصارف، ولاسيّما الفلك.

وبعد عودة إبراهيم من مصر مع امرأته وابن أخيه لوط حدث نتيجة زيادة أموالها وأغنامها لاسيّما بين رعاة ماشية إبراهيم مع رعاة ماشية لوط، فاستقر إبراهيم في كنعان وابتعد لوط وسكن بقعة في الأردن في منطقة سدوم.

واستمر موأب بن لوط في المنطقة الواقعة إلى الشرق من الروافد الجنوبية لنهر الأردن والقسم الشمالي للبحر الميت، ويتردد في الروايات أن إبراهيم أقام في حيروت(٤٩)، من خلال ملاحظته للظواهر الفلكية والتي أفادته في تعليمها للمصريين ومجتمعاتهم في علوم الفلك والرياضيات.

ويذهب البعض إلى أن إبراهيم عبر نهر الفرات والتقى باللاويين، وأنه تعايش معهم لمدة وبعد أن وصل الأردن لزم جانبه الشرقي وتوجه بعدها إلى شكيم (نابلس الحالية)، التي تبعد عن بيوس (أورشليم القدس) حوالي ٢٧ ميل.

وإنه منح تلك الأرض لتكون موطناً له ولأولاده من بعده، وهناك بنى مذابح للرب يعبد فيها الله عند بلوغه المورة بجانب الكنعانيين وهي من بين جبال عيبال فانتقل إلى بيت أيل بعد تحرشات الكنعانيين، وهي على بُعد ١٢ ميل شمال أورشليم وتوحد بالتل على بُعد ١٢ ميل إلى الشمال الغربي من أريحا(٥٠).

وتشير التوراة إلى ذهاب إبراهيم الخليل نحو مصر بسبب اشتداد الجوع وبسبب القحط الذي أصاب أرض كنعان، إذ ترد قصة رواية جميلة تظهر اتفاق إبراهيم الخليل (عليه السلام) وزوجته سارة، إذ طلب منها أنها تدعي أنها افته وإذا دخل أرض مصر، فإنه ذهب لنشر دعوته، وليس بسبب القحط، مستغلاً الثورة الاجتماعية التي جاءت هناك.

الاستنتاجات:

نستنتج مما تقدم، من أن التوراة أقدم الكتب اليهودية، التي كثيراً ما اعتمد عليها المؤرخون العرب، ولاسيّما عند تفسيرهم للآيات القرآنية الخاصة بخلق الكون وقصص الأنبياء . والتوراة مجموعة أسفار كتبها عدد من الأنبياء.

والتوراة أو التورة كلمة عبرية، تعني الهداية والإرشاد ويقصد الأسفار الخمسة الأولى، التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية، التي تُنسب إلى موسى (عليه السلام)، وهي جزء من العهد القديم، وتُعدُّ التوراة من المصادر المهمة بنقل أخبار العرب قبل الإسلام وتحركاتهم من منطقة إلى أُخرى وعلاقاتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتأثيراتهم في الأقوام الأُخرى البعيدة والقريبة، فضلاً عن أنشطتهم التجارية التي وصلت إلى مناطق بعيدة، فضلاً عن تأثير الحملات العسكرية، ودور السواح والتجار في المناطق العربية، وتأثيرهم بالمناطق العربية، واقتباس بعض العلوم العربية المختلفة ونقلها إلى مناطق مختلفة من العالم، ومن هذه العلوم الرياضيات والفلك والجغرافية، وبعض المواد المهمة ما يخصُّ القانون، وحتى انتقال المسطرات التي تحمل مواد من القانون منها مسلّة حمورابي.

الهوامش:

١. السواح، فراس، التوراة والحدث التاريخي في الشرق الأدنى القديم، ج١، ط٢، (سورية . دمشق)، ص ٥٨.
٢. المصدر نفسه.
٣. المصدر نفسه، ص ٦٤.
٤. المصدر نفسه، ص ٦٥.
٥. المصدر نفسه، ص ٦٨.
٦. مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، ط٢، (الآداب . الإسكندرية)، ص ٤٩.
٧. السواح، فراس، التوراة والحدث التاريخي في الشرق الأدنى القديم، ص ٧٢.
٨. مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، ص ١٩٥.
٩. مالمات، إبراهام، العبرانية وبني إسرائيل في العصور القديمة، ص ٧٦.
١٠. السواح، فراس، التوراة والحدث التاريخي في الشرق الأدنى القديم، ص ٧٢.
١١. أشعياء ١٣: ٢٠.
١٢. أرمياء ٣: ٢.
١٣. أشعياء ٢١: ١٣.
١٤. مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، ص ١٩٥.
١٥. المصدر نفسه، ص ١٣٠.
١٦. أرميا ٢٥: ٢٤.
١٧. مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، ص ١٢٦.
١٨. أرميا ٣: ٢.
١٩. مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، ص ١٣٧.
٢٠. مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، ص ١٣٧.
٢١. العلي، صالح أحمد ، محاضرات في تاريخ العرب، ج١، ط٢، (الآداب، بغداد)، ١٩٥٤م، ص ١٣٢.
٢٢. مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، ص ١٣٨.
٢٣. المصدر نفسه، ص ١٣٩.
٢٤. سعد، عبد الله محمد، الطبقات الكبرى، دار التحرير، القاهرة، ١٩٦٨م،ج١، ص ٢٥.
٢٥. مهران، محمد بيومي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ١٣٧.
٢٦. المصدر نفسه، ص ١٤٠.
٢٧. مهران، محمد بيومي، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ١٤١.
٢٨. العلي، صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب، ص ١٤٠.
٢٩. مهران، محمد بيومي، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٣٠.
٣٠. المصدر نفسه، ص ٣١.
٣١. أرميا ٢٥: ٢٤.

٣٢. الأحمدي، سامي، نظرة في جغرافية شبه جزيرة العرب قبل الإسلام، مجلة العرب، العدد السابع، الرياض، ١٩٦٩م، ص ١١٨.
٣٣. عبد الحميد، سعد زغلول، في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، ١٩٧٥م)، ص ٩٨.
٣٤. مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص ٣٣.
٣٥. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (عشرة أجزاء)، بيروت، ص ٥٤.
٣٦. المصدر نفسه، ص ٥٥.
٣٧. مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص ٣٠.
٣٨. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص٥٦.
٣٩. مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٣١-٣٢.
٤٠. مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٣١-٣٢.
٤١. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٩٠.
٤٢. مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٣٣.
٤٣. سفر التكوين ١١: ٣١-٣٢.
٤٤. سفر التكوين ١٢: ١٤-٢٠.
٤٥. مهران، محمد بيومي، بنو إسرائيل، الحضارة، التوراة والتلمود، ج٣، (الآداب . الإسكندرية)، ١٩٩٠، ص ١٤١.
٤٦. سورة مريم، الآية ٤٩.
٤٧. مهران، محمد بيومي، بنو إسرائيل، الحضارة، التوراة والتلمود، ج٣، ص ١٤٦.؟
٤٨. سفر التكوين: ١٢: ٤.
٤٩. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، حضارة وادي النيل، ج٢، ط١، دار الوراق للنشر، (بغداد، ٢٠١٢م)، ص ٣٢٠.
٥٠. المصدر نفسه، ص ٣٢١.

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.
٢- التوراة.
٣- الإنجيل.
٤- الأحمد، سامي معبد، نظرة في شبه الجزيرة العربية، مجلة العرب، العدد السابع، الرياض، ١٩٦٩م.
٥- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، حضارة وادي النيل، ج٢، ط١، دار الوراق للنشر، (بغداد، ٢٠١٢م).
٦- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى، دار التحرير، القاهرة، ج١، ١٩٦٨م.
٧- السواح، فراس، التوراة والحدث التاريخي في الشرق الأدنى القديم، ج١، ط٢، (سوريا . دمشق).
٨- عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، ١٩٧٥م).
٩- العلي، صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب، ج١، (الآداب، بغداد)، ١٩٥٤م.

١٠- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، بيروت، ١٩٦٩م.
١١- مالمات إبراهام، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة، ج١، ١٩٧٦م.
١٢- مهران، محمد بيومي، بنو إسرائيل، الحضارة، التوراة والتلمود، (الآداب . الإسكندرية).
١٣- مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار المعرفة الجامعية، (الآداب . الإسكندرية).
١٤- يحيى، لطفي عبد الوهاب، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٣، دار النهضة العربية، (بيروت . لبنان)، ٢٠٠٩م.